

وحدها الأساطير لا تشيخ

بادي مختار

جامعة بشار الجزائر

لقد شاع في المشهد الروائي العالمي التأثيث بموضوعة الأسطورة، فما تكاد رواية تخلو من الإشارات أو الرموز الأسطورية، أو من استيحاء مواقف معينة أو أجواء معروفة أو اقتباس هيكل أسطوري قديم لبث مضامين معاصرة من خلاله، وباتت هذه الظاهرة قاسما مشتركا اكبر بين جميع الروائيين سواء أكانوا غربيين أم شرقيين.

لكن العودة إلى استخدام الأسطورة في الرواية والشعر على حد سواء تعتبر عودة حقيقية إلى المنابع البكر للتجربة الإنسانية ومحاولة التعبير عن الإنسان بوسائل عذراء لم يمتنها الاستعمال اليومي، فتخفي الألفة ما تجنيه من أرباح.

كما أن الأسطورة تعد الجزء الناطق من الشعائر البدائية، الذي نماه الخيال الإنساني وتوسلت به الآداب العالمية، أو بعبارة أخرى هو تلك المادة التراثية التي صيغت في عصور الإنسانية الأولى، وعبر بها الإنسان في تلك الظروف عن فكره تجاه الوجود، فاختلط فيها الواقع بالخيال، وامتزجت الحواس والفكر، واللاشعور، واتحد الزمان فيها والمكان، واتحدت أنواع الموجودات من إنسان وحيوان ونبات، والتحمت في كل متفاعل مع عناصر الطبيعة وقوى ما وراء الطبيعة... واتخذت من التجسيد الفني - وهو لغة الرواية الحقة - وسيلتها للتعبير عن كل خلخلة من شعور، وكل خاطرة من فكر، في تلقائية عذبة تنطوي على إيمان عميق بأنها تعبر عن حقيقة الوجود.⁽¹⁾

لكن الروائي المعاصر عندما يتوسل بالأسطورة فإنه يقوم بعملية عجن لقضايا عصر، يستطيع بطبيعة تصوره أن يضمه فكره وشعوره في الأسطورة وعصر يجد أن استخدام الأسطورة واستغلال عناصرها في أعماله الفنية هو -فحسب- كل ما في وسعه للربو الهائل بين طورين مختلفين أشد الاختلاف من أطوار الإنسانية اختلاف ما بين الحقيقة والمجاز وما لا بين اليقين الديني والرمز الفني.⁽²⁾

إن جمالية الأسطورة تكمن في كونها ليست اختلافًا، إنما تتضمن بنية بالغة الصرامة والتحديد، وبالتالي فهي منطقيا وقبل ذلك جدليا مقولة ضرورية للإدراك والوجود عموما.

عندما يغوص القارئ الإستمولوجي في أعماق البنية الأسطورية للتنقيب عن أصداف البنية الشعرية أعني - شعرية الأسطورة - نلفيه ينشد النص المستحيل أو النص العسل كما يقرر الباحث المغربي محمد سويرتي: (... فالنص المستحيل يتحقق في ذهن القارئ ويجسد الصراع بالجمع بين المتعارضات و المتناقضات والمتضادات الحادة، فاستحالة النص مصدرها غياب الحلول، والأجوبة، ولا تنهي القضايا فهو يكتفي بلامسة الإشكاليات وتقريب العضلات وطرح الأسئلة، وسوق الأزمات، وتمثيل الكوارث.... ويمكن القول بأن النص كالعسل لا قدرة لأحد على استقصاء حلاوته، فالقليل منها يشبع حاجته ويحول دون متذوقها ودون استنفادها كلها رغم لاقناعته ورغبته في الزيادة والاستمرار في التلذذ بها، أو كالروح الذي يستحيل على البشر معرفة كنهه برغم تجلياته في أفعال لغوية، كما أن اللغة نفسها منبع استحالة النص).⁽³⁾

إن الأسطورة حبل بالعواطف والانفعالات الحياتية الواقعية، تجسد، تؤله، تبجل، تكره تشفي،... إلخ. تجد لنفسها دوما سندا في الوقائع القائمة كحقائق بالذات، لأن واقعها ليس افتراضيا، إنما واقع حقيقي، ليست وظيفة، إنما نتيجة، مادة، كائن معيش.

إذا رام الدارس -الإبستمولوجي- تحديد تخموم الأسطورة يلفيها تملك حقيقتها الأسطورية مصداقيتها، تميزها بين الحقيقي والمتخيل والواقعي والمتصور.

الأسطورة تكتسب جمالياتها في المتون الروائية كونها ليست بنية علمية بدائية، إنما هي علاقة حية متبادلة ذات موضوعية متضمنة كل الحقيقة الاعلامية الأسطورية الخالصة الخاصة بها، ومتضمنة كذلك المصداقي، والانتظام المبدئي والبنية.

كذلك ليست الأسطورة بنية ميتافيزيقية، إنما هي واقع حياتي حقيقي، مادي، وحسي، يعد في الوقت نفسه منفصلاً عن سير الظواهر العادي، وبالتالي فهو يتضمن درجات تراتبية مختلفة، ودرجات انفصال متفاوتة.

جمالياتها تجعلها بعيدة عن الأخطوطة، أو المجاز، ولكنها رمز، وهي بكيونونها-رمزا- لاغرو إن تضمنت طبقات أخطوطية ومجازية.

إن فلسفة الأسطورة تتحرى البحث عن المعنى الهارب-le sens obtus-، أو المعنى المنفرج، وإن شئت سمى المعنى الثالث، أي الذي يقول عنه رولان بارط:(....أما المعنى الثالث، أي ذلك الذي يتأتى كفائض وكتكملة والذي تعجز قدراتي العقلية عن تمثله بشكل جيد، هذا المعنى العنيد والهرب، والأملس، والنعتق، هو ما أقترح نعتي بالمعنى المنفرج، هذا المعنى الثالث وهو معنى محرج للقراءة النقدية لأنه لايقدم نفسه كمعنى خارج الحكاية و المحكي إنه معنى متقطع وهجين⁽⁴⁾.

يذهب- ألكسي لوسيف- في مؤلفه المسوم فلسفة الأسطورة إلى أن فلسفة الأسطورة تتلخص بأنها ليست بدعة أو وهما أو نتاج خيال، بل هي المقولة الأكثر ضرورة، بدرجة فائقة للتفكير والحياة، ليس فيها ما هو وليد الصدفة أو غير ضروري أو مزاجي أو مختلف أو متخيل، إنما في الواقع الحقيقي الملموس بدرجة قصوى⁽⁵¹⁾

فإذا كان الاختلاف في العلم لا الاتفاق هو الذي يقود إلى الاكتشاف، إلى الجديد، فإن الاختلاف في الخلق لا التماثل هو الذي يقود إلى ولادة جديدة، ولا إدخالها تتحقق إلا عبر اللغة، وفي هكذا مسألة لهج فيلسوف الأدباء ولأديب الفلاسفة أبو حيان التوحيدي قدما قائلاً: (الكلام على الكلام صعب)، أما الجاحظ العظيم فقد قال: (أعلم أن فتنة الكلام أشد من فتنة المال والنساء)، لكن النفري قطع قول كل خطيب حين قرر: (كلما اتسع المعنى ضاقت العبارة).

كأني بهؤلاء العلماء النقاد يحررون -مانيفيستو- للقارئ -الإبستمولوجي- يقننون من خلاله، أنه لا يجب أن يغدق على اللغة القداسة، بل يغدق عليها كل الصفات التي تجعل منها كائناً كما راودته عن نفسه تأبى، وتعني مراودة اللغة عن نفسها خرق العادة، وتجاوز ما قننه المعياريون القدماء، إذ لا يكلف نفسه البحث للتشبيه عن مبرر مادي يسهل مهمته ويجعلها سائغة، ولا يجهد نفسه في مواءمة المجاز لقرينته التي تجعله مقبولا عند القارئ، ولا يبحث عن ذريعة في هذين أو غيرهما كالتعابير المسكوكة* -onomatopées- التي أمن عليها القدماء، وبهذا تتحقق الكثافة التي يجبل بها حقل الأساطير.

هناك إذن معنى باطني، كلما استطاع القارئ -الإبستمولوجي- أن ينفذ إلى ما وراء القشر، ببصيرته، وهذا طبعا يختلف من شخص إلى آخر، ألم تر أن فيلسوف الجمال بينديتو كروتشيه اجترح حدا جامعاً مانعاً للأدب حين قال: (الأدب هو البصيرة). إذا فتحنا رتاج الأسطورة، ونعتنا سياسة المعنى فيها بالنص الغائب أو النص المستحيل، فإننا نستحضر هذا البيت لأبي تمام:

أما المعاني فهي أبكار إذا افتضت ولكن القوافي عون⁽⁶⁾.

وفي ذات الاتجاه-النص المستحيل- دعونا نسميه -النص الفحل- يقول النافذ اللبناني سامي أدهم: (.... النص المستحيل أو استحالة النص ن تعني وصول النص إلى

حالة العرفان المستحيلة، حين يصبح في ذاته مستحيلا، ولن يستطيع بعدها أن يقدم بيانه إلا من خلال تفكيك اللغة ذاتها، وتفتيت الكلام ذاته، إذ لن تعود الكلمة في حد ذاتها معبرة عن ذاتها، ولن يصلح البيان المباشر أداة للعرفان، والعرفان هدفه الهوية المحضة من خلال الفهم الذي يعتمد الانسجام والاتساق فهو معرفة في كمن ينفتح على فضاء النص من خلال فسحة مضيئة يستطيع البيان من خلالها أن يظهر أو يتمظهر داخل معبر تأويلي شبه مستحيل⁽⁷⁾.

إن العملية الفنية هذه لاتعدو (صب الخمر المعتقدة في أوان جديدة) تكن الهدف هو تزويد الرواية بدماء جديدة، وإضافة عصارة فكر جديد - وأيم الله - لايتأتى هكذا إجراء إلا لمن كان ابن بجدة فنون الآداب وأخ جملتها وأبا عذرتها ومالك أزمته - أعنتها -.

ذلك أن العودة لاستخدام الأسطورة في الرواية والشعر على حد سواء تعتبر عودة حقيقية - كما سبق ذكره - إلى المنابع البكر للتجربة الإنسان وما أنس لا أنسى جدل الأسطورة، حيث تعتبر أكثر حقول الإدراك البشري غموضا، ومنه بات لزاما على المتلقي تشریح جوهر الأسطورة، بحثا عن ذلك النص المستحيل المخبوء في دهاليز التاريخ ن فهي ليست بدعة أو وهما، ولا تهيئات من صنع الخيال.

إن جمالية الأسطورة تتمثل بالنسبة للوعي الأسطوري بأنها الواقع الأكثر تحديدا، والثر كثافة، والأكثر توترا، وهذا واقع ليس مختلفا إنما هو واقع أكثر وضوحا وملموسية، إنها المقولة الحكيمة للتفكير والحياة البعيدة عن كل مصادفة أو هوى.

ولامتطاء فرس الأسطورة الجموح، للتمتع بذلك الديكور في الخراب الجميل سأكرس الصفحات التالية لمجموعة من الأساطير المستمدة من الثقافة الأوربية، تؤثت بها السرود، فالأسطورة شائقة وممتعة، ولكنها تتطلب جهدا فكريا وقراء إستمولجين لفض بكارتها،

لاقراء صلصالينن متشردين يدمنون السهر متثائبين على أرصفة متون يختنقون بأدخنة معانيها ويغرقون في شلالات شعرياتها التي لا يفقهون فيها شروى نقيير.

1 - أسطورة أوروبا: EUROPE :

أوروبا في الأسطورة الإغريقية هي ابنة - أغنور- ملك رصيда وهو ابن - ليبيا- و- بوديسون- إله البحر، وقد ترك مصر ليسكن في فينيقيامع أولاده الخمسة قدوس و فيونكس- أبو الهول- وسيليكس و فينينياس. وقد أرسل أغنور أبناءه الخمسة للتفتيش عن أختهم -أوروبا- بعد أن قام -زيوس- بخطفها بعد أن تنكر كثور وحمل -أوروبا- على ظهره وسبح إلى -كريت- وحملت - أوروبا- في الجزيرة من - زيوس- بثلاثة أبناء هم: (مينوس و رادامنتيس و ساربيدون)، ويقولون أيضا كانت إلهة الليل إذ أن اسمها من أصول سامية ومعناها الواضحة. وقد وجد في مدونة أوغاريت السورية، وكانت مركزا تجاريا هاما المسيونيون من الإغريق قبل الميلاد، وتحدثت المدونة عن الإلهة العروس المبرقة التي تعرض في الغروب.

وتروي الأسطورة أن -أوروبا- حملت إلى الغرب لتزويجها وبعد أن ولدت من - زيوس- تم تزويجها إلى - أستريوس- ملك -كريت- الذي تبني أولادها وقد أعطاه - زيوس-هدية الزواج تمثالا لرجل اسمه -تالوس- للدفاع عن المملكة، ويقولون : إن - تالوس-كان يضرب الغرباء بحجر أو بالنار أو يعصرهم بيده، وقد أعطيت هذه الهدايا إلى - فينوس- عند تنصيبه على العرش.

2 - أسطورة أخيل:

بطل ملحمة -الإليادة- التي نظمها الشاعر -هوميروس- وقد كتبت في القرن الثامن قبل الميلاد، وتروي الملحمة قصة حصار طروادة الذي حصل قبل القرن التاسع بأربعة قرون و-أخيل-هو ابن -تيساليان- ملك -بيليوس- وحوورية البحر -ثيتز- وكان من

المحاربين الأشداء حتى أن الموت لا يقهره، وكان حاد المزاج وتخاصم مع الرؤساء الإغريق الآخرين، وقد جر جسد - هيكتور - بطل طروادة من أرض المعركة بعد أن قتله في أول مبارزة.

تروي الأسطورة أن أمه حاولت جعله خالدا لا يموت لذا غطست جسده في مياه النهر الجوفي (سيتكس) ولكن أخمص قدميه بقي يابسا لأنها غطسته رافعة إياه من رجليه وهو طفل، لذا بقي أخمص القدم المنطقة التي يمكن أن يصاب منها بسهام الأعداء والموت، وقد توفي -أخيل- قبل سقوط طروادة إذ أصابه سهم مسموم أطلقه - باريس - على أخمص قدميه.

3 - أسطورة أفروديت:

إلهة الحب عند الإغريق وهي ليست كديفتها الرومانية -فينوس- إنها لم تكن للحب الجنسي فقط بل إلهة الحنان والشعور الذي يسود الحياة الاجتماعية.

أصبحت - أفروديت- إلهة الحب عند ولادتها إذ تروي الأسطورة أن الإله - كرونوس- قطع - أورانوس- بسكين حادة ورماه في البحر وطاف جسد - أورانوس- في زبد البحر ومن داخل الزبد خرجت - أفروديت- من البحر، ومعنى الكلمة، التي أتت من زبد البحر أو الرغوة، وقد وصلت بعد ولادتها إلى قبرص وتم بناء معبد لها في الجزيرة في - بافوس- و -أماتوس- ويظهر تمثالها في - أماتوس- بلحية مثل لحية - عشتروت- الآشورية، وقد استوردها من قبرص التي كانت تحت تأثير أساطير غرب آسيا وقد خصصت - أفروديت - إلى الحب كمنافسة إلى الإلهة -هيرا- إلهة الأرض وزوجة - زيوس- وأحيانا روت الأساطير بأنها أم - أيرس-.

توجد روايتان تربطان - أفروديت- بحروب طروادة، إذ تذكر الروايات أن أفروديت أثرت على - زيوس- رئيس الآلهة وجعلته يقع في حب النساء الغانيات من البشر

ويهجر زوجته الإلهة -هيرا-، إذ وقع في حب ابنة - كروتوس- وريا- ولقابل أجبرها - زيوس- على الوقوع في حب راعي الغنم الطروادي - أنجيسس- حيث تنكرت كأميرة من -فرجيا - وزارت الراعي الذي جن من جمالها وحملت منه - أنياس- مؤسس الدولة اللاتينية في إيطاليا، ونظرا لوقوع الراعي بحب الإلهة فقد شله البرق، ويقال إن النحل لذغه فأعمى عينيه، بينما ربطت - أفروديت- بإنقاذ ما تبقى من طروادة بجعلها أم القائد -أنياس- .

وكذلك زجت - أفروديت - في النزاع المصري، غذي يقال أنها دعت - باريس- ابن بريام و - هيكوبا - وكان يعمل كراع لفترة وأقنعت به بأنها ستزوجه من - هيلين- التي كانت في حينه زوجة ملك طروادة - مينيلوس- وقد أدى خطف - باريس- ل -هيلين- لحرب طروادة.

4 - أسطورة أيفجيني:

هي ابنة- أغاممنون- وقد قدمها قربانا لتأويته الرياح في حرب طروادة، وقد خلط الإغريق بين عبادتها وعبادة -أرتميس-، ووجد ضريح يعتقد أنه قبر -أيفجيني- يقول البعض أنها كانت من راهبات -أرتميس-، ومكلفة بتقديم الغرباء كضحايا إلى - أرتميس- إذا القي القبض عليهم في بلاد تاوري.

5 - أسطورة زيوس:

أعلا آلهة الإغريق ابن -التيتان- الجبار - كرونوس رويا- وقد ذكره هود في عام 700 ق.م في كتابه (الميثوغوني) أن -زيوس- كان المستشار الحكيم و أبا الآلهة وكذلك البشر، وتحت صوت رعد تترجف الأرض، وقد دحره -زيوس- أبوه -كرونوس- واجبره على إخراج إخوانه -بوسيدون- -هيدس- وكذلك أولاد -أورانوس- جده الذي ابتلعهم -كرونوس- وقد زوده -السيكلوب- ذو العين الواحدة من العمالقة بأسلحته الجبارة

الرعد والبرق، وقد أرسل -زيوس- الجبابة بعد أن دمرهم إلى -تارتاروس- تحت العلم السفلي.

كان - زيوس- إله السماء وفعالا في الحياة اليومية، ولم يكن إلها خالقا حيث خلط الإغريق بين الأساطير الأندو-أوربية وتقاليدهم بحريجة لذا أبقى على -هيرا- الإغريقية كزوجة ل -زيوس- وكان -زيوس- جامع الغيوم و إله المطر والهابط والبرق وإله الزواج والمكمل و المنقذ، بينما أصبح أخوه إله البحر . وكان لزيوس علاقات مع ألهة ونساء وحوريات لزيادة نسله مثل أبولو و أرتميس، ومثلت -هيرا- كزوجة غيورة عليه وقد لعب أولاده غيرالشرعيين دورا في المسرح الإغريقي للالهة مثل ابنه -هرقل-، وقد أدخلت الطقوس الكريتية المتعلقة بزيوس في المراسم، إذ هربت أمه -ريا- إلى كريت خوفا من أن يبتلعه أبوه، وترعرع هناك مع أترابه مثل الأميرة التي حاولت ركوبه كثور أبيض وأصبحت فيما بعد أن حملت منه أما -مينوس- كما لعب -زيوس- دورا في المراسم الأورفية وهي من العقائد الغامضة.

6- أسطورة أريس:

إله الحرب لدى الإغريق وابن زيوس و هيرا، وهو إله غير محبوب وليست لديه شعبية، وقد قدس في وسط شمال اليونان ويظهر في الأسطورة كحرض على العنف ومحب عفيف وصديق مخادع وليست لديه أي قيم أخلاقية، وهو دموي المزاج وبلا شفقة ومخيف وجبان بعكس -مارس- إله الحرب عند اليونان.

7- أسطورة أثينا:

أو -أثين- وهي ابنة زيوس و -ميتس- ومعناها الحكمة أو المستشارة وقد ولدت كاملة الخلق من رأس أبيها زيوس بعد أن ابتلع أبوها زوجته -ميتس- وهي حامل بها وتروي الساطير أن الحداد (هيفياستوس) ساعد على ولادتها بفأسه وهس إلهة حرب

ولكنها تكره العنف اللامعقول بعكس أريس ن وقد اعتمدت على شجاعة الحكمة حيث ناقشت إله البحر -بسيدون- حول من الذي سيحكم أثينا وانتصرت بحكمتها . وقد تبرأ منها زيوس لأنها زرعت للبشر شجرة الزيتون، والجانب المظلم فيها أن عيونها كانت مثل عيون البومة، ووجهها مثل الغورغون، وكانت حامية للحرفيين خاصة الحدادين والنساجين والحائكين وهذا يفسر تلقيبها (هفياستيا) مساعدة الإله الحداد، ولكن العلاقات لم تكن جيدة بينهما إذ لم تتزوج للحفاظ على عذريتها وهربت رمن فراش الزوجية من الإله الحداد، وبقيت حامية مدينة أثينا وكانت دؤوبة وقد ساعدت (أوديسيوس) في رحلته الملحمية للعودة إلى المن حرب طروادة.

8 - أسطورة أوديسيوس:

اسمه عند الرومان والعرب (عوليس) وكان البطل الإغريقي ملك - أثينا- وهي جزيرة صغيرة في بحر إيجه، وقد شارك - أوديسيوس- أو - أوليسيس- في حرب طروادة وحصل على لقب سفيرس لمخططاته، ومن أهم خطته لمهاجمة طروادة تصميم الحصان الخشبي، حيث خدع الطرواديون بهذا الحصان وعجلاته فأدخلوه مدينتهم الحصينة وكان الإغريق مختبئين داخل الحصان وخرجوا في الليل وفتحوا أبواب المدينة لزملائهم.

بعد تدمير طروادة بدأ -أوديسيوس- طريق العودة إلى بلده -أثينا- وطريق عودته هو موضوع ملحمة هوميروس الشهيرة (الأوديسة) وقد نظمها في القرن التاسع قبل الميلاد، واستغرقت رحلة -أوليسيس- عشر سنوات رغم حماية آلهة أثينا له وقام بمغامرات عديدة، ويروى أن (بوسيدون) عاداه عند وصوله إلى صقلية إذ أنه فقأ عين ابن إله البحر (بوسيدون) (السيكلوب) (بوليفيموس) وقابل في رحلته آكل لحوم البشر (لاستريكون) وقاوم تعاويد وسحر الساحرة (سيرجة) في جزيرتها المسحورة، وأجبر الساحرة على إعادة

بحارته إلى صورتهم الإنسانية بعد أن حولتهم إلى خنازير، إضافة لتمكنه من تفادي غرق السفينة عند اقرباها من جزيرة -السايرين- وهي نساء في شكل طيور وعواصف.

كما قاوم الوحش - جيلا- الذي كان يسكن في كهف في مضيق بين إيطاليا و صقلية، وزار أيضا آكلي اللوتس -لوتافاجي- ونزل إلى العالم السفلي حيث بقي عدة سنوات في جزيرة الحرية -كاليبسو- وعاد بعد هذه الرحلة الشاقة متنكرا إلى بلاطه، حيث وجد في بلاطه خمسين خاطبا من الفرسان لزوجته -بنلوبة- وأقنعها وهو متنكر بقبول أي خاطب يقدر أن يلوي قوسا جبارا لأنه الوحيد الذي يقدر أن يقوم بذلك، وقام بعد ذلك بقل الخطاب بسهامه القاتلة، ووجد أن المخلصين الوحيدين له هما خادمان وابنه -تلياخوس-.

9- أسطورة أوديب:

معناها الحرفي القدم المتورمة و- أوديب - ابن -لايوس- ملك طيبة والملكة -جوكاستا- وقد علم أبوه من نبوءة أنه سينتهي على يد ابنه فرمى أوديب على سفح جبل عند ولادته وربط قدميه سوية ووجده راع واخذه إلى ملك (كورنث) وزوجته العاقرين وربيا أوديب مثل ابنهما .

وفي شبابه أخبرته نبوءة في دلفي بأنه سيقبل أباه ويتزوج أمه ففرع من ذلك وهرب من كورنث وقرر عدم العودة غليهما لأنه كان يجهل أبويه الحقيقيين، وذهب إلى طيبة وفي الطريق التقى بالملك -لايوس- أبيه الحقيقي فقتله في معركة عن حق الشخص في المرور، ودخل مدينة طيبة حيث أجاب عن لغز أبي الهول سفنكس - ولقيامه بدحر هذه اللبوءة المجنحة نصبه سكان طيبة ملكا عليهم وتزوج - جوكاستا - الأرملة، وبذا تحققت النبوءة بلا معرفة منه، وبعد فترة عرف بجرمه الكبير بقتل أبيه وزواجه المحرم

من أمه فقفا عينيه وهام على وجهه إلى المنفى ووصل حديقة - كولونوس - قرب أثينا حيث خلصه -يوميندس -من حياته، أما جوكاستا فقد شنقت نفسها بعد فترة قصيرة.

10 - أسطورة بروميثوس:

معناه الحرفي قبل التفكير وهو إله النار عند الإغريق وصديق للبشرية وهو ابن العملاق -لابيتوس -و الحورية - كليمنة- و أخو - أطلس - و -مينوثاوس - وأبيميثوس -المعادين لزيوس، وقد انتصر بروميثوس بتحمل تعذيبه ولم يكشف سر الأحداث القادمة إذ كان يعرف أنه إذا جاء لزيوس طفل من إلهة البحر-يثتس -فإن هذا الابن سيخلع أباه زيوس كرئس للآلهة وانتقاما قام زيوس بضرب منوثيوس بصاعقة أجبر أطلس العنيد على رفع الأرض وأعطى - باندورا- الكوارث إلى المجنون -أبيوثيوس - وربط بروميثوس الهادئ بسلسلة على صخرة ويأتي نسر يأكل كبده الذي يتجدد كل يوم ويعود الكبد من جديد في الليل، ويقولون إن -هرقل - أنقذ إله النر المعذب بروميثوس دون موافقة آلهة الأولمب.

كذلك يقولون سرق بروميثوس النار و يقولون شعلة منها إما من موقد آلهة الأولمب أو من الموهوبة - باندورا- حاملة صندوق الشرور وقد صحبها-هيفياستوس- بناء على طلب منزيوس رغم تحذيرات بروميثوس إلى أخيه- أبيميثوس -بعدم قبول الهدايا التي عرفتها البشرية، وبرز الفرق بين النشر الفانين والآلهة الخالدين، وقد حمل بروميثوس معه مظهرين متناقضين كمساعد للآلهة، فرغم أن النار كانت هديته للبشرية فإن ثمنها كان التقدم العلمي و الآلام والتهديم الذي حملته معها في العصر الحديدي،ولكن بروميثوس يبق رمزا للإرادة التي لا تقهر ضد قوة أعلا منه فهو صغير ويتعذب على الأبد ولكنه واثق من انتصار قضيته.

11 - أسطورة سيزيف: السيزيفية:

أحذق البشر كما يقول الإغريق القدامى، وقد عوقب على حذاقته أو حذقه بأن يعمل بلا نهاية ولا توقف في العالم السفلي إلى الأبدية كرمز لسرمدية العذاب، إذ حكمت عليه الآلهة بأن يدحرج مرمرة إلى قمة تل ثم تسقط قبل وصولها إلى القمة، وهو رمز للعبث، وكان سيزيف ملك (كورنثيا) وكان ملكا بخيلا.

أما ضحية الغجباط العبثي الثاني فكان - تانتالوس - الذي أنجبه زيوس من حورية في جبل الأولمب، ويقال إنه نقل حديث الآلهة على مائدة الطعام إلى البشر، ويقال إنه اعطاهم طعام الكنتار أو (الامبريوزا) شراب الآلهة مما اضطر زيوس إلى نفيه إلى - تارتاروس - في سجن تحت العالم السفلي وبقي متدلّيا في الماء إلى ذقنه ولكنه لم يقدر أن يروي عطشه إذ يتحرك الماء مع حركة رأسه وكذلك توجد عناقيد عنب مدة ولا يقدر أن يصل إليها.

12 - أسطورة فينوس:

إلهة رومانية عبدت في روما وادعى يوليوس قيصر أنه من أحفادها عن طريق البطل - إنياس - وبعد انتصاره في الحرب خصص لها معبدا ضخما في عام 49 قبل الميلاد، وبقي عملها السابق غامضا ما عدا علاقتها بالخدائق، وعرفت باسم أفروديت في القرن الثالث قبل الميلاد واعتبرها الرومان مرادفة للإلهة الحب أفروديت.

13 - أسطورة هيرا:

معناها الحرفي السيدة وهي إلهة الأرض عند شعب الأرغوس ومن معبودات الفترة الإغريقية ن وأصبحت عندهم ابنة - كرونوس - و - ريا - وزوجة زيوس، وكانت تعتبر حامية الحياة الزوجية والولادة والبيت، وقد تسبب شجارها البيتي وغيرها على زوجها كوارث للآلهة والأبطال والرجال، خاصة في مطاردتها لعشيقات زوجها زيوس وأولاده

مثل هرقل الذي ولد له من علاقته ب(السيميني) إذ أرسلت هيرا أفعيين فقتلهما الطفل وهو في مهبه وكان الرجل الخارق (سوبرمان) super-man في العهود الغابرة لكن كان ضحية لغيرة هيرا.

14 - أسطورة هرقل:

هو (هرقليس) عند الرومان من أعظم الأبطال الإغريق وابن رئيس الآلهة زيوس من زوجته الغانية -السيميني -من طيبة، وقد رسم مصير - هرقل - نتيجة عداء هيرا زوجة أبيه له إذ لاحقته بدون هوادة ودفعته للجنون فقتل عائلته، وللتكفير عن هذا الجرم العظيم قام باثني عشر عملاً شاقاً : إذ قتل الأسد(ينمين) بيديه المجردتين، و التنين (هيدرا) ذي السبعة رؤوس، وقبض على أيل الأركاديا وقتل الخنزير الوحشي (أرماناتيا)، ونظف إسطبلات (أوجيان) التي تحتوي على ثلاثة آلاف 3000 ثور، وقتل طيور إله الحرب المتوحشة (سيمفاليان)، وقبض على الثور الذي أرسله - بوسيدون - إلى ملك -كريت- (فينوس)، وقبض على خيول مملكة (تراقيا) أو (تراسيا) وهي خيول من نكلة لحوم البشر، وحصل على نطاق ملكة مملكة الأمازون وهن نساء محاربات، وألقى القبض على ثور (غويون) ملك إسباني بثلاثة رؤوس وست أيد وثلاثة أجساد مرتبطة من الخاصرة، وقطف تفاحات (هيسبير ديس) الذهبية وهي حارسة فاكهة الإلهة (غايا)، وقد أعطتها إلى هيرا عند زواجها من زيوس، وأعاد الكلب (سيربيروس) من العالم السفلي .

كان هرقل بطلا شعبيا ذا صفات شبه أسطورية، وكان مثل الأبطال - بيرسيوس- و -ثيسوس- و -جيسون- و-أسكاليوس-، حيث وصلوا إلى مصاف الآلهة كبشر، وقد وصفه الشاعر - بندار -في القرن الخامس بأنه الإله البطل والشيء الآخر هو عدم وجود

قبر له وبقاياها لا تعود لأي مدينة إذ صعد من المنصة الجنائزية إلى جبل الأولمب وقد تبناه الرومان كإله للقوة الجسدية.

15 - أسطورة أبولو:

أبولو إله وهو أخ -لارتميس- توأمه- وتسمى (أرتميس الصائدة العذراء) وهما أبناء زيوس وليتو وأمهما من الجبارة الذين حكموا العالم قبل إلهة الأولمب، وتروي الأسطورة أن - ليتو- ولدت أبولو و أرتميس في -ليسيا- ولكن أبولو ارتبط بجزيرة ديلوس، وعند ولادته قال: (ساخصص حياتي للقيثارة والقوس و ساكشف الناس أمام زيوس بتنبؤاتي).

تروي الأسطورة أن أبولو سافر إلى - دلفي - وعمره أربعة أيام وقتل أفعى الأرض التي كانت تريد إيذاء أمه وهي حامل به وهذا الثعبان هو ابن الإلهة - غايا - وكان يتنبأ في دلفي من شق في صخرة وتقوم راهبة بشم روائح الدخان التي تتصاعد من الشق وتفسر تلك التنبؤات المعروفة بتنبؤاي دلفي وعندما قتل أبولو هذا الثعبان أخذ مكانه في إعطاء التنبؤات لراهبة المعبد في دلفي ويقولون عن الثعبان تحول على تنين سمي دلفين أو دلفي ومن مغامرات أبولو العاطفية علاقته مع -كورونيس- أم - أسكالبيوس - إله الطب وكذلك مع دافني العذراء الصيادة . واعتبر أبولو سيد الرعاة، وبعد دخوله معبد دلفي سيطر على رمي القوس والسهم وكذلك على فنون الموسيقى وأصبح عميد المداواة وعلوم الطب، بنى الرومان أول معبد له في عام 422 قبل الميلاد وقد تبناه الرومان كإله نتيجة اختلاطهم بالمستوطنين الإغريق أو الانتروسكيين .

16 - أسطورة مارس:

إله الحرب عند الرومان ويلى - جوبيتر- في تلقي كل التبجيل في الإمبراطورية الرومانية، ويمثل القدرة العسكرية والمجد، وقد رفعه الرومان إلى إله حرب، إذ أن

الإغريق لم ينظروا إلى آريس إله الحرب باحترام وتقدير، غداً كان متعطشاً للدماء وقاسياً، أما مارس فقد كان على العكس أبا -لروميلوس- الذي بنى جدران روما، وهو حام للفلاحين و الرعاة، ويسمى أحياناً -سلفانوس- وشهر آذار شهره (مارس) حيث يحتفل به بإشعال شعلة في ضريح - فيستا- وتزين بيوت الرهبان بأوراق الغار التي ترتبط به، وفي الرابع عشر من الشهر يجري سباق خيول في ساحة -مارتيوس- وفي الثاني والعشرين آذار تنظف أبواب الحرب.

17 - أسطورة شارون*:

بحار لعالم السفلي العجوز، وكانوا يضعون قطعة نقود في فم المتوفى كأجرة لشارون البحار لعبورهم في أنهار الجحيم -هيدس-.

18 - أسطورة نايك: NIKE :

إلهة النصر عند الإغريق القدامى وقد أكرمها زيوس لأنها حاربت معه ضد الجبابرة - التيتان - وقد أكرمها الإغريق بوضع تمثال لها في دلفي بعد انتصارهم البحري على الفرس في معركة (سلاميس) البحرية في عام 480 قبل الميلاد، وكذلك يحترمها الرياضيون وراكبو المركبات ويقدمون لها فروض الطاعة للفوز في المباريات، وأصبحت رمزا للنصر، وقد أصبح اسمها في روما (فيكتوريا) ووضع نصبها في مجلس الشيوخ من قبل (أوغسطس) في عام 29 قبل الميلاد.⁽⁸⁾

في الأخير عن لي الإشارة إلى نقطة هامة تنسم من خلالها نفحات ربيع القلوب القرآن الكريم، إذ نلني لفظ أساطير ورد في ثناياه في تسعة موارد متفرقة وهذه التكرارية تقتضي القيام بحفريات مضمينة في حقل الأساطير، إلا أنني سأضرب صفحاً عن ذلك السجال العقيم الذي كان فيه الخاسر الأكبر النضر بن الحارث*⁹ وهو يحاد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حين سولت له نفسه المريضة إفشال الدعوة المحمدية في

مرحلتها المكية، -وهو مثقف عصره- فكان جزاؤه هو جزاؤه في غزوة بدر، لكنني سأشير إلى لقاسم المشترك الأكبر الذي يربط جميع أي أساطير الأولين، إنها وردت على لسان الكافرين لدعوة الحق، ولم ترد على لسان غيرهم من أهل الكتاب، وكل الآيات قيلت في مناسبات الاحتجاج و الجدل حول قضايا إيمانية عقلية منطقية.⁽¹⁰⁾

وإذا كان بول جوزيف جوبلز* قد قال ذات يوم: (كلما سمعت كلمة مثقف أتحمس مسدسي) فأنا أقول : (كلما قرأت أسطورة سافرت خلفتي الثقافية في دهاليزها تنغيا سياسة المعنى لاكتشاف النص الغائب لأن عبقرية الأسطورة وفلسفتها لا تعطيان القيادة إلا لمن مهره السهاد وغاص في أعماق البنية الأسطورية للتنقيب عن أصداق الشعرية أو الاستحمام تحت شلالاتها المتدفقة وتكحيل عينيه بذلك الديكور الكامن في خراب جميل.

الهوامش

- 1- د: أنس داود الأسطورة في الشعر العربي الحديث. طبعة 1975 دار الطباعة والنشر الفجالة، ص 12.
- 2 - المرجع نفسه، ص، 13.
- 3 - محمد سوريقي: شعرية ما بعد الحداثة- قراءة في دينامية النص- لمحمد مفتاح- الطبعة الأولى 1999 مطبعة الأمانة الرباط، ص، 155.
- 4 - فريد الزاهي: القراءة والتمثيل، دراسات في السرد الروائي والقصصي، طبعة 1991، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ص، 151.
- 5 - ألكسي لوسيف: فلسفة الأسطورة، ترجمة منذر حلوم، الطبعة الأولى 2005، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية سورية صص. 42 و 43.
- * المسكوكات: ألفاظ تتضمن الصوت والمعنى.
- 6 - أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية، تحقيق الدكتور فايز محمد، الطبعة الأولى 1427 هـ الكتاب العربي بيروت، ص، 22.

- 7 - سامي أدهم إستيمولوجيا المعنى والوجود نقد التطورية طبعة 1988 مركز الإنماء القومي بيروت لبنان، ص131.
- 8 - جميع الأساطير المتوسل بها مأخوذة من قاموس أساطير العالم لمؤلفه آرثر كورتل: ترجمة: سهى الطريجي - طبعة 2010م دار نينوى للدراسات و النشر والتوزيع ن دمشق سورية.
- 9 * - في التاريخ المعاصر شارون اسم رئيس وزراء إسرائيل المشهور بمجازر صبرا وشتيلا، الهالك يوم 05 أغسطس 2010م بعد غيبوبة دامت خمس سنوات من 2005م.
- 10 - ورد لفظ أساطير في القرآن الكريم تسع مرات : في سورة الأنعام الآية 25 في سورة الأنفال الآيات 31 و32. في سورة النحل الآية 24 في سورة المؤمنون الآيات 82 و83 و84. في سورة الفرقان الآيات 4 و5 في سورة النمل الآيات 68 و69 و70 في سورة الأحقاف الآية 16 في سورة القلم الآيات 14 و15 في سورة المطففين الآيات 10 و11 و13.
- * ول جوزيف جوبلز: وزير الدعاية النازية